القراءات المخالفة لرسم المصحف في سورة النور
(من خلال كتاب الدر المنثور)

الباحث/ عبدالقادر صابر جبر الطويل

إشراف

الأستاذ الدكتور/ عرفات محمد محمد

الأستاذ الدكتور/عيسى شحاته عيسى

ملخص البحث:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وبعد.

لقد تنوعت القراءات المخالفة لرسم المصحف وخصوصا ما يسمى بالقراءات التفسيرية منها، وهذا التنوع يجعل لها أهمية بالغة في إثراء المعنى الذي يجعل الباحثين يحيطون بالجوانب اللغوية والتفسيرية والفقهية؛ بسبب التنوع الظاهري لهذه القراءات، وتعانقها الباطني على أداء معاني وحي الله المنزل، وشمول هذه المعاني وعمقها، وتنوع أطيافها وألوانها، كما أن الموضوع يبرز وجهًا من وجوه إعجاز القرآن من خلال القراءات المتواترة وغير المتواترة.

وهذا بحث موجز للقراءات المخالفة لرسم المصحف في سورة النور، وفيه ست مسائل وقبلها مقدمة وبعدها خاتمة، وقد توصلت من خلاله إلى عدة نتائج منها ، أهمية كتاب الدر المنثور في جمع ما ورد عن الصحابة من قراءات.

الكلمات المفتاحية. القراءات، رسم المصحف، الصحابة، الدر المنثور.

Research Summary:

Praise be to God, and may blessings and peace be upon our master, the Messenger of God, and after. The readings that contradict the script of the Qur'an have varied, especially the so-called interpretive readings. This diversity makes them extremely important in enriching the meaning, which forces researchers to pay attention to the linguistic, interpretive, and jurisprudential aspects. Because of the apparent diversity of these readings, and their inner embrace of performing the meanings of God's revealed revelation, the comprehensiveness and depth of these meanings, and the diversity of their shades and colors.

The topic also highlights one of the aspects of the miraculous nature of the Holy Qur'an through frequent and non-frequent recitations .

It highlights one of the aspects of the miraculous nature of the Qur'an through frequent and non-frequent recitations. This is a brief study of the readings that contradict the script of the Qur'an in Surat AL Noor. It contains six issues, before which is an introduction and after that a conclusion. Through it, I have reached several results, including the importance of Kitab al-Durr Al-Manthur is a collection of the readings that were reported fromThe Companions.

key words: Readings ,drawing of the Qur'an, companions, Durr al-Manthur.

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وبعد.

لقد تنوعت القراءات المخالفة لرسم المصحف وخصوصا ما يسمى بالقراءات التفسيرية منها، وهذا التنوع يجعل لها أهمية بالغة في إثراء المعنى الذي يجعل الباحثين يحيطون بالجوانب اللغوية والتفسيرية والفقهية؛ بسبب التنوع الظاهري لهذه القراءات، وتعانقها الباطني على أداء معاني وحي الله المنزل، وشمول هذه المعاني وعمقها، وتنوع أطيافها وألوانها، كما أن الموضوع يبرز وجهًا من وجوه إعجاز القرآن من خلال القراءات المتواترة وغير المتواترة.

وهذا بحث موجز للقراءات المخالفة لرسم المصحف في سورة النور، وفيه ست مسائل وقبلها مقدمة وبعدها خاتمة

والله أسأل أن يوفقني لما يحب ويرضى.

– سورة النور:

المسألة الاولى– قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]

الخبر الوارد فى القراءة المخالفة لرسم المصحف (عَذَاب أَلِيم)

١– وَأخرج سعيد بن مَنْصُور وَابْن مرْدَوَيْه عَن مَسْرُوق قَالَ فِي قِرَاءَة عبد الله (وَالَّذِي تولى كبره مِنْهُم لَهُ عَذَاب أَلِيم)[1].

أولا اللغة:

العَذاب الأَليمُ: الَّذي يَبْلغ إِيجاعُهُ غَايَةَ الْبُلُوغِ، وإِذا قُلْتَ عَذاب أَلِيمٌ فَهُوَ بِمَعْنَى مُؤلِم، قَالَ: وَمِثْلُهُ رَجُلٌ وجِع. وضرْب وَجِع أَي مُوجِع. وتَأَلَّم فُلَانٌ مِنْ فُلَانٍ إِذا تَشَكَّى وتَوَجَّع مِنْهُ. والتَّأَلُّم: التَّوجُّع. والإِيلامُ: الإِيجاعُ[2].

العَذاب: فهو يتفاوت في الأنواع والشدة والأثر (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)، (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ)[3].

ثانيا التفسير:

١ – الدر المنثور ٦ / ١٥٩.

٢ – ٢٢/١٢ معجم لسان العرب.

٣ – ١٤٣٠/٣ ،المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) المؤلف: د. محمد حسن حسن جبل الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ بأبلغ ما يكون من الكذب، من الإفك، وهو الصرف لأنه قول مأفوك عن وجهه، والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله تعالى عنها. وذلك أنه عليه الصلاة والسلام استصحبها في بعض الغزوات فأذن ليلة في القفول بالرحيل، فمشت لقضاء حاجة ثم عادت إلى الرحل فلمست صدرها فإذا عقد من جرع ظفار قد انقطع، فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها أنها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار، فلما عادت إلى منزلها لم تجد ثمة أحداً فجلست كي يرجع إليها منشد، وكان صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه قد عرس وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها فقادها حتى أتيا الجيش فاتهمت به. عُصْبَةٌ مِنْكُمْ جماعة منكم وهي من العشرة إلى الأربعين وكذلك العصابة، يريد عبد الله بن أبي، وزيد بن رفاعة، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم، وهي خبر إن وقوله: لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ مستأنف والخطاب للرسول صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر وعائشة وصفوان رضي الله تعالى عنهم والهاء للإفك. بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بإنزال ثماني عشرة آية في براءتكم، وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا. لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصاً به. وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه. مِنْهُمْ من الخائضين وهو ابن أبي فإنه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أو هو وحسان ومسطح فإنهما شايعاه بالتصريح به وَالَّذِي بمعنى الذين. لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ في الآخرة أو في الدنيا بأن جلدوا وصار ابن أبي مطروداً مشهوراً بالنفاق، وحسان أعمى أشل اليدين، ومسطح مكفوف البصر[1].

ثالثا : رأيُ الباحث:

بعدَ استعراضِ الخبرِ الواردِ في القراءة المخالفة لرسمِ المصحف ، وما جاء في اللغة ، وما جاءَ في التفسيرِ نجدُ أنَّ اللهَ ــ عزَّ وجلَّ ــ أظهرَ براءةَ عائشةَ أمِّ المؤمنين – رضى اللهُ تعالى عنها – فقال : (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ) أيْ : بالكذبِ والبهتانِ جماعةٌ منكم ، لا تَحسَبوا هذا الأمرَ من الكذبِ شرًّا لكم ،بل هو خيرٌ لكم عندَ اللهِ وعند المؤمنين ؛ لأنَّ اللهَ يجعلُ ذلك كفارةً لكم ، ويجعلُ لهُ براءةً ومَخرجًا ، وقيل : الذين جاءوا بهذا الأمرِ هم : حسانُ بنُ ثابتٍ ، ومُسطَحٌ ابنُ أثاثةَ وحمنةُ بنتُ جحشٍ ، والذى تولَّى كِبرَهُ وإثمَهُ ووزرَهُ

[1] – ١٠٠/٤ تفسير البيضاوى.

هو عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابنِ سلولٍ ، كبيرُ المنافقين (رأسُ النفاقِ) لهُ عذابٌ عظيمٌ ، والخِطابُ لعائشةَ رضىَ اللهُ تعالَى عنها .

- وجاءتِ القراءةُ المخالفةُ لرسمِ المصحفِ (له عذابٌ أليمٌ) وذلك بالإيجاعِ ، والإيلامِ لهم بالعذاب ، و ذلك بإقامةِ الحَدِّ عليهم وهُمْ : حسانُ بنُ ثابتٍ ، ومسطحٌ وحمنةُ وقيل : إنَّ حسانَ صار أعْمَى وأَشَلَّ اليدين ، ومسطحًا أصبح مكفوفَ البصرِ ، وقالت عائشةُ – رضى اللهُ عنها – في حسانَ بنِ ثابتٍ : (لعل اللهَ يجعلُ ذلك العذابَ العظيمَ ذهابَ بصرِه) ، وأقولُ بأنَّ هؤلاءِ قد أُقيمَ عليهِمُ الحَدُّ والجَلْدُ ، وهو كفارةٌ لهم ، أمَّا الذى تَولَّى كبرَهُ – وهو عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ – فأصبح منبوذًا مطرودًا ، فهو الذى لهُ عذابٌ عظيمٌ ، ثم بعدَ ذلك يُرَدُّ إلى عذابٍ أليمٍ ، أيْ : من شدةِ الإيلامِ والإيجاعِ ، وذلك في الآخرةِ ؛ لأنَّنا نجدُ أنَّ اللهَ – عزَّ و جلَّ – ذكرَ العذابَ الأليمَ بعدَ العذابِ العظيمِ في القرآن في أكثرَ منْ موضعٍ ، كما جاء في المعجمِ الاشتقاقيِّ ، وكما جاء في سورةِ آلِ عمرانَ ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٦–١٧٧]

– وكما جاء في سورةِ الجاثيةِ ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [الجاثية: ١٠–١١] فنجد أنَّ في هذه الآياتِ الكريمةِ جاء العذابُ العظيمُ أولًا ، ثم بعدَهُ العذابُ الأليمُ ، أيْ : أنَّه سيُعذَّبُ – أولًا – عذابًا عظيمًا ، ثم بعدَ ذلك يُرَدُّ إلى عذابٍ أليمٍ ، علاوةً على أنَّ عبدَ اللهِ بنَ أبيٍّ ابنِ سلولٍ هو رأسُ النفاقِ ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥] فعلى هذا تكونُ هذهِ القراءةُ قراءةً تفسيريةً لِمَا سيَحدُثُ لعبدِ اللهِ بنِ أبيٍّ ابنِ سلولٍ ، ولكن لا يجوزُ القراءةُ بها ؛ لمخالفتها رسمَ المصحفِ واللهُ – تعالَى – أعلمُ .

المسألة الثانية– قال اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[النور: ٢٥]

الخبر الوارد فى القراءة المخالفة لرسم المصحف (الْحق دينهم)

٢– وَأخرج الطَّبَرَانِيّ وَابْن مرْدَوَيْه عَن بهز بن حَكِيم عَن أَبِيه عَن جده أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَرَأَ: (يَوْمئِذٍ يُوفيه الله الْحق دينهم)[1].

١ – أخرجه الطبرانى ٤٢٢/١٩، (١٠٢١)، وقال البيهقى وفيه عون ابن ذكوان ثقة، وقال ابن حيان يخطئ ويخالف وبقية رجاله ثقات، وينظر فتح القدير ٢٢/٤، الدر المنثور ٦/ ١٦٧.

أولا فى التفسير:

والعامل في (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ الله دِينَهُمُ الحق) بالنصب صفة للدين وهو الجزاء ومعنى الحق الثابت الذي هم أهله وقرأ مجاهد بالرفع صفة كقراءة أبى وفيهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحق وصفاً لله بأن ينتصب على المدح (ويعلمون) عند النور (٢٦ – ٢٥) ذلك (أَنَّ الله هُوَ الحق المبين)لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضرورى ولم يغلط الله تعالى فى القرآن فى شئ من المعاصى تغليظه فى افك عائشة رضى الله عنها فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وما ذلك إلا لأمر وعن ابن عباس رضى الله عنه من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض أمر عائشة وهذا منه تعظيم ومبالغة في أمر الافك[١].

ثانيا : رأيُ الباحث:

بعدَ استعراضِ الخبرِ الواردِ في القراءةِ المخالفةِ لرسمِ المصحفِ ، وما جاءَ في التفسيرِ نجدُ أنَّ اللهَ ــ عزَّ و جلَّ ــ بيَّنَ ما يحدثُ لهؤلاءِ الذين تَعدَّوْا على الأعراضِ ، فقال : يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ ، أيْ : يومئذٍ تشهدُ جوارحُهم بأعمالِهم القبيحةِ ، ويعطيهُم اللهُ جزاءَهم وحسابَهم على تلك الأفعالِ ، ويعلمون أنَّ ما كانوا يُوعَدُونَ في الحياةِ الدنيا هو حقٌّ لا شكَّ فيهِ ، و(الحقَّ) بالنصبِ صفةٌ لِدينِهم .

- وجاءتِ القراءةُ المخالفةُ لرسمِ المصحفِ (حق دينهم) بتقديمِ الصفةِ على الموصوفِ ، على أنَّ دينَهم بدلٌ مِنَ الحقِّ ، والحقُّ وصفٌ للهِ منتصبًا على المدحِ ؛ لأنَّ مجازاةَ اللهِ للكافرِ بالحقِّ والعدلِ ، وهذا معنى القراءةِ المتواترةِ ، أمَّا معنى القراءةِ المخالفةِ فهو أنَّ اللهَ هو الحقُّ ويحاسبُهم ويجزيهِم ، والحقُّ لا يَظلمُ ، فهو يحاسبُ الكفارَ بعدلِه ، ويحاسبُ المؤمنينَ بفضلِهِ وإحسانِهِ ، وهذا من جودِهِ وكرمِهِ فنجدُ أنَّ الحقَّ أتتْ نعتًا لكلمةِ (دين) ، بمعني الحسابِ في القراءةِ المتواترةِ ، ونعتًا للهِ في القراءةِ المخالفةِ ، فهو حقٌّ ، لا يَظلمُ ، و سيحاسبُهم بالعدلِ ، فالمعنى يتقاربُ من جهةِ الحسابِ بالعدلِ مِنَ اللهِ ، ولكن لا يجوزُ القراءةُ بِها ؛ لمخالفتِها رسمَ المصحفِ واللهُ – تعالَى – أعلمُ .

١ – تفسير النسفى ٤٩٦/٢، ٤٩٧.

المسألة الثالثة- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧]

الأخبار الواردة في القراءة المخالفة لرسم المصحف (تستأذنوا)

١- وَأخرج الْفرْيَابيّ وَسَعِيد بن مَنْصُور وَعبد بن حميد وَابْن جرير وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم وَابْن الْأَنْبَارِي فِي الْمَصَاحِف وَالْحَاكِم وَصَححهُ وَالْبَيْهَقِيّ فِي شعب الإِيمَان والضياء فِي المختارة من طرق عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا فِي قَوْله (لَا تدْخلُوا بُيُوتًا غير بُيُوتكُمْ حَتَّى تستأنسوا وتسلموا على أَهلهَا) قَالَ: أَخطَأَ الْكَاتِب إِنَّمَا هِيَ حَتَّى تستأذنوا[١].

٢- وَأخرج سعيد بن مَنْصُور وَعبد بن حميد وَابْن جرير وَالْبَيْهَقِيّ فِي شعب الإِيمَان عَن إِبْرَاهِيم قَالَ: فِي مصحف عبد الله (حَتَّى تسلموا على أَهلهَا وتستأذنوا)[٢].

٣- وَأخرج ابْن أبي حَاتِم وَابْن الْأَنْبَارِي فِي الْمَصَاحِف عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا فِي قَوْله (حَتَّى تستأنسوا) قَالَ: حَتَّى تستأذنوا[٣].

٤- وَأخرج ابْن أبي شيبَة وَأحمد وَالْبُخَارِيّ فِي الْأَدَب وَأَبُو دَاوُد وَالْبَيْهَقِيّ فِي سننه من طَرِيق ربعي قَالَ: حَدثنَا رجل من بني عَامر اسْتَأْذن على النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَهُوَ فِي بَيت فَقَالَ: أَأَلِجُ فَقَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لِخَادِمِهِ: أخرج إِلَى هَذَا فَعلمه الاسْتِئْذَان فَقيل لَهُ: قل السَّلَام عَلَيْكُم أَأَدْخل[٤].

اولا في اللغة:

تَسْتَأْنِسوا فِي اللُّغَة تَسْتَأْذِنوا، وَلذَلِك جاءَ فِي التَّفْسِير تَسْتَأْنِسوا فَتَعْلَمُوا: أيريد أَهْلُهَا أَن تَدْخُلُوا، أم لَا وَقَالَ الفَرّاء: هَذَا مُقدَّمٌ ومُؤَخَّرٌ، إِنّما هُوَ حَتَّى تُسَلِّموا! وتَسْتَأْنِسوا السلامُ عَلَيْكُم، أَدْخُلُ أم لَا وَكَانَ ابنُ عَبّاسٍ يقرأُ هَذِه الآيَةَ حَتَّى تَسْتَأْذِنوا[٥].

ثانيا التفسير:

فَأَوْجَبَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ لَا يَدْخُلَ الْمَرْءُ بَيْتَ غَيْرِهِ إِلَّا بَعْدَ الِاسْتِئْذَانِ وَالسَّلَامِ، لِأَنَّ فِي الدُّخُولِ لَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ وُقُوعَ التُّهْمَةِ وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْمَضَرَّةِ مَا لَا خَفَاءَ بِهِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانٍ وَلَا سَلَامٍ لِقَوْلِهِ غَيْرَ بُيُوتِكُمْ وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا

---

١ - أخرجه ابن جرير الطبري ٢٣٩/١٧، ٢٤١، وابن ابى حاتم ٢٥٦٦/٨، والحاكم ٣٩٦/٢، والبيهقى ٨٨٠١، ٨٨٠٤، والضياء ٩٠/١٠، ٩١ (٨١٨٧) وقال ابن كثير هذا غريب جدا عن ابن عباس. وقال ابو حيان ما روى عن ابن عباس أن قوله (تستأنسوا) خطأ أو وهم من الكاتب وانه قرأ تستأذنوا فهو طاعن فى الإسلام ملحد فى الدين وابن عباس برئ من هذا القول، ابن كثير ٣٨/٦، البحر المحيط ٤٤٥/٦، الدر المنثور ٦/ ١٧١.

٢ - أخرجه ابن جرير الطبري ٢٤١/١٧، والبيهقي (٨٨٠٠)، والأثر عند ابى حاتم ٢٥٦٦/٨، الدر المنثور ٦/ ١٧١.

٣ - الأثر عند ابى حاتم ٢٥٦٦/٨، الدر المنثور ٦/ ١٧١.

٤ - أخرجه ابن ابى شيبة ٤١٨/٨، ٤١٩، وأحمد ٢٠٦/٣٨(٢٣١٢٧)، والبخارى ١٠٨٤، وابو داود (٥١٧٧، ٥١٧٩)، والبيهقى ٣٤٠/٨، صحيح سنن أبو داود (٤٣١٢)، الدر المنثور ١٧٢/٦.

٥ - ٤١٦/١٥ تاج العروس.

قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَأَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: لَيْسَ لَهَا خَادِمٌ غَيْرِي أَأَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا كُلَّمَا دَخَلْتُ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً» قَالَ الرَّجُلُ: لَا، قَالَ: وَغَيَّا النَّهْيَ عَنِ الدُّخُولِ بِالِاسْتِئْنَاسِ وَالسَّلَامِ عَلَى أَهْلِ تِلْكَ الْبُيُوتِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الِاسْتِئْنَاسَ هُوَ خِلَافُ الِاسْتِيحَاشِ، لِأَنَّ الَّذِي يَطْرُقُ بَابَ غَيْرِهِ لَا يَدْرِي أَيُؤْذَنُ لَهُ أَمْ لَا، فَهُوَ كَالْمُسْتَوْحِشِ مِنْ جَفَاءِ الْحَالِ إِذَا أُذِنَ لَهُ اسْتَأْنَسَ، فَالْمَعْنَى حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ كَقَوْلِهِ: لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ «١» وَهَذَا مِنْ بَابِ الْكِنَايَاتِ وَالْإِرْدَافِ، لِأَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الِاسْتِئْنَاسِ يُرْدِفُ الْإِذْنَ فَوُضِعَ مَوْضِعَ الْإِذْنِ. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ تَسْتَأْنِسُوا مَعْنَاهُ تَسْتَأْذِنُوا، وَمَنْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ قَوْلَهُ تَسْتَأْنِسُوا خَطَأٌ أَوْ وَهْمٌ مِنَ الْكَاتِبِ وَأَنَّهُ قَرَأَ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا فَهُوَ طَاعِنٌ فِي الْإِسْلَامِ مُلْحِدٌ فِي الدِّينِ، وَابْنُ عَبَّاسٍ بَرِيءٌ مِنْ هذا القول. وتَسْتَأْنِسُوا متمكنة في المعنى بنية الْوَجْهِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ. وَقَدْ قَالَ عُمَرُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَسْتَأْنِسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَعُمَرُ وَاقِفٌ عَلَى بَابِ الْغُرْفَةِ الْحَدِيثَ الْمَشْهُورَ. وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّهُ طَلَبَ الْأُنْسَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم. وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الِاسْتِئْنَاسِ الَّذِي هُوَ الِاسْتِعْلَامُ وَالِاسْتِكْشَافُ، واستفعال مِنْ أَنِسَ الشَّيْءَ إِذَا أَبْصَرَهُ ظَاهِرًا مَكْشُوفًا، وَالْمَعْنَى حَتَّى تَسْتَعْلِمُوا وَتَسْتَكْشِفُوا الْحَالَ هَلْ يُرَادُ دُخُولُكُمْ أَمْ لَا، وَمِنْهُ اسْتَأْنِسْ هَلْ تَرَى أَحَدًا وَاسْتَأْنَسْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، أَيْ تَعَرَّفْتُ واستعلمت[1].

ثالثا التوجيه:

قال أبو الفتح: "تَسْتَأْنِسُوا" هنا معناه تطلبوا وتلتمسوا الأنس، كما أن "تستأذنوا" إنما معناه تطلبوا الإذن. فأما قولهم: قد استأنست بفلان فليس من هذا، إنما ذاك معناه أنست به، وليس المراد فيه طلبت الأنس منه. وأنس في هذا واستأنس كسخر واستسخر، وهزئ واستهزأ، وعجب واستعجب، وقر واستقر، وعلا واستعلى[2].

رابعًا : رأيُ الباحثِ :

بعدَ استعراضِ الأخبارِ الواردةِ في القراءةِ المخالفةِ لرسمِ المصحفِ ، وما جاء في اللغةِ ، وما جاءَ في التفسيرِ ، وما جاء في التوجيهِ ، نجدُ أنَّ اللهَ ــ عزَّ و جلَّ ــ أمرَ المؤمنين ألا يدخلوا بيوتًا حتى يَستأنسوا ، والاستئناسُ : أن تَعْلَمَ مَنْ في الدارِ بالتسليمِ ، ثم الاستئذانُ عليهم ، ففي ذلك خيرٌ للجميعِ .

- وجاءتِ القراءةُ المخالفةُ لرسمِ المصحفِ (تستأذنوا) فقد رُوىَ عن ابن عباسٍ أنَّ معناه تستأنسوا ، وفى الحقيقةِ أنَّ الاستئناسَ أقوى من الاستئذانِ ، وأشملُ ، وأعمُّ ، كما

١ – البحر المحيط ٣٠/٨، ٣١.

٢ – المحتسب لابن جنى ١٠٨/٢.

جاء في السنَّة ، في الحديث الذى أخرجه ابنُ أبي شيبةَ ، لمَّا قال الرجلُ أألِجُ ؟ فقال النبى ﷺ لخادمه : اذهب ، فعلِّمْهُ الاستئذانَ ، ففيه سلامٌ أولًا ، ثم يقولُ : أأدخلُ[1] ؟ فالمستأذنُ مستعلِمٌ للحالِ ، مستكشفٌ لهُ : هل يؤذَنُ لهُ أم لا ، أما المستأنسُ فمستوحشٌ خائفٌ ألا يُؤذَنَ له ، فإذا أُذِنَ لهُ استأنسَ ، فالاستئناسُ هو إزالةُ الوحشة ، ويكونُ بالقولِ والعملِ والسلامِ والتنحنحِ ، فقراءةُ استأنسَ أقوى من استأذنَ وأعمُّ ، أمَّا قولُ ابنِ عباسٍ أخطأَ الكاتبُ فلا يجوزُ ؛ لأنَّهُ طعنٌ فى القرآنِ المتواترِ ، ولا يجوزُ الطعنُ في المتواترِ بالآحادِ المخالفِ لرسمِ المصحفِ ، لأنَّ الأمةَ اجتمعتْ عليهِ ، فلا يجوزُ مخالفتُهُ ، وهذا يفتحُ البابَ للطعنِ في القرآنِ وهذا حرامٌ شرعًا ، وإن كان صحَّ هذا الخبرُ فهو على سبيلِ التفسيرِ لا غيرَ و، اللهُ – تعالَى – أعلمُ .

المسألة الرابعة – قال تعالى: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣]

الخبر الوارد في القراءة المخالفة لرسم المصحف (إكراههن لَهُنَّ)

١- وأخرج عبد بن حميد وَابْن أبي حَاتِم عَن سعيد بن جُبَير قَالَ: فِي قِرَاءَة ابْن مَسْعُود (فَإِن الله من بعد إكراههن لَهُنَّ غَفُور رَحِيم) قَالَ: للمكرهات على الزِّنَا[2].

أولا التفسير:

روي أن سبب هذه الآية هو أن عبد الله بن أبي ابن سلول كانت له أمة تسمى مسيكة، وقيل معادة، فكان يأمرها بالزنا والكسب به، فشكت ذلك إلى النبي عليه السلام، فنزلت الآية فيه وفي من فعل فعله من المنافقين وقوله: إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً راجع إلى «الفتيات»، وذلك أن الفتاة إذا أرادت التحصن فحينئذ يتصور ويمكن أن يكون السيد مكرها، ويمكن أن ينهى عن الإكراه وإذا كانت الفتاة لا تريد التحصن، فلا يتصور أن يقال للسيد لا تكرهها لأن الإكراه لا يتصور فيها وهي مريدة للزنا، فهذا أمر في سادة وفتيات حالهم هذه، وذهب هذا النظر عن كثير من المفسرين فقال بعضهم قوله: إِنْ أَرَدْنَ راجع إلى الْأَيامى [النور: ٣٢] في قوله: وَأَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ، وقال بعضهم هذا الشرط في قوله: إِنْ أَرَدْنَ ملغى ونحو هذا مما ضعف والله الموفق للصواب برحمته، وعرض الْحَياةِ الدُّنْيا، في هذه الآية الشيء الذي تكتسبه الأمة بفرجها ومعنى باقي الآية بين فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ، بهن، وقد يتصور الغفران والرحمة بالمكرهين بعد أن تقع التوبة من ذلك، فالمعنى غَفُورٌ

١ – المكتبة الشيعية المصنف ابن أبى شيبة الكوفي جزء ٦ ص ١٣٢. ومصنف ابن أبى شيبه ٢٦٠٩٢.

٢ – أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨ / ٢٥٩١ (١٤٥٣٤)، الدر المنثور ٦ / ١٩٤.

لمن تاب، وقرأ ابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن جبير «لهن غفور رحيم» بزيادة «لهن»[1].

ثانيا : رأيُ الباحث:

بعدَ الاطلاعِ على الخبرِ الواردِ في القراءةِ المخالفةِ لرسمِ المصحفِ ، وما جاءَ في التفسيرِ نجدُ أنَّ اللهَ ــ عزَّ و جلَّ ــ بَيَّنَ لنا ما كان يحدثُ في الجاهليةِ ، فقد كانوا في يُكرِهونَ إماءَهم على الزِّنَا ، ويأخذون أُجورَهنَّ ، فنهى اللهُ عن ذلك في الاسلامِ ، وأُوجبَ خلاصَ المُكرَهاتِ من ذلك الإثمِ ، وبَيَّنَ سبحانَهُ أنَّهُ غفورٌ رحيمٌ لَمَن تابَ منهنَّ بعدَ إكراههنَّ .

- وجاءتِ القراءةُ المخالفةُ لرسمِ المصحفِ بزيادةِ (لهن) ، أيْ : أنَّ اللهَ منْ بعدِ إكراههنَّ غفورٌ رحيمٌ لهن ؛ لكونهنَّ مُكرَهاتٍ ، والإكراهُ مصدرٌ مبنيٌّ للمفعولِ ، فإنَّ توسطَهُ بين اسمِ إنَّ وخبرِها هو السببُ في المغفرةِ ، وكذلك لأنَّ المُكرَهَةَ المجبرةَ على الزِّنا غيرُ آثمةٍ ، لأنَّها خائفةٌ من عقابِ سيِّدِها ، فأتَتْ (لهن) لتأكيدِ المغفرةِ والرحمةِ ، أيْ : أنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ للمُكرَهاتِ المُجبَراتِ على الزِّنا ، فهي على سبيلِ التَّوضيحِ والبيانِ والتفسيرِ، وعَوْدُ الضميرِ على المكرَهاتِ للتأكيدِ ، ولكن لا يجوزُ القراءةُ بها لمخالفتِها رسمَ الصحفِ ؛ كونَها خبرَ آحادٍ وتفسيرًا منْ صحابيٍّ ، فهي ليست بقرآنٍ ، ويُعملُ بها في التفسيرِ ، واللهُ – تعالَى – أعلمُ .

٢٦ – قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥]

الأخبار الواردة في القراءة المخالفة لرسم المصحف (مثل نور الْمُؤمن) (مثل نور من آمن بِهِ) (مثل من آمن بِهِ)

١– وَأخرج عبد بن حميد وَابْن الْأَنْبَارِي فِي الْمَصَاحِف عَن الشّعبِيّ قَالَ: فِي قِرَاءَة أبيّ بن كَعْب (مثل نور الْمُؤمن كمشكاة)[2].

٢– وَأخرج ابْن أبي حَاتِم عَن ابْن عَبَّاس (مثل نوره) قَالَ: هِيَ خطأ من الْكَاتِب هُوَ أعظم من أَن يكون نوره مثل نور الْمشكاة قَالَ: (مثل نور الْمُؤمن كمشكاة)[3].

١ – تفسير ابن عطية ٤ / ١٨٢.

٢ – يُنظر البحر المحيط ٦ / ٤٥٥، الدر المنثور ٦ / ١٩٦.

٣ – أخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٥٩٤، ٢٥٩٥، الدر المنثور ٦ / ١٩٧.

٣- وَأخرج أَبُو عبيد وَابْن الْمُنْذر عَن أبي الْعَالِيَة قَالَ: هِيَ فِي قِرَاءَة أبيّ بن كَعْب (مثل نور من آمن بِهِ) أَو (قَالَ مثل من آمن بِهِ)[1].

أولا التفسير:

مُزيِّن السموات بالشمس والقمر والنجوم، ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء؛ لأنَّ معنى المزيّن هنا: المنوِّر. وهذا القول يروى عن أبي بن كعب وأبي العالية والحسن. (مَثَلُ نُورِهِ) قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: مثل نوره الذي أعطاه المؤمن. ونحو هذا قال الكلبي: مثل نور الله في قلب المؤمن، وعلى هذا القول الكناية عائدة إلى الله تعالى. والمراد: مثل نوره الذي يقذفه في قلب المؤمن ويهديه به. وروي عن أبي بن كعب أنه قال في هذه الآية: ثم ذكر نور المؤمن فقال (مَثَلُ نُورِهِ) يقول مثل نور المؤمن وكان أُبيّ يقرأها (مثل نور المؤمن) قال: وهو عبد قد جعل القرآن والإيمان في صدره. وهذا القول كما روى عطاء عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: مثل نور من آمن بالله. وهذا قول عامر الشعبي. وقال السدي: مثل نوره في قلب المؤمن [قال: وهو قراءة ابن مسعود: (مثل نوره في قلب المؤمن)]. وهذا كقول الكلبي في عود الكناية إلى اسم الله تعالى. وعلى القول الثاني عادت الكناية إلى غير مذكور وهو المؤمن. قال الأخفش: مثل ما أنار من الحق في بيانه. قوله (كَمِشْكَاةٍ) قال أبو عبيدة والفراء والكسائي: المشكاة: الكُوَّة ليست بنافذة[2].

ثانيًا : رأيُ الباحث:

بعدَ استعراضِ الأخبارِ الواردةِ في القراءةِ المخالفةِ لرسمِ المصحف ، وما جاءَ في التفسيرِ نجدُ أنَّ اللهَ – عزَّ و جلَّ – بَيَّنَ فيوضاتِه على خَلقِه ، فقال : (اللهُ نورُ السمواتِ والأرضِ) ، أيْ : بنورِهِ يَهتدِي أهلُ السمواتِ والأرضِ ، مَثَلُ ذلك النورِ العجيبِ حينَ يَقذفُهُ في قلبِ المؤمنِ كصفةِ المشكاةِ ، وهي كالكوةِ غيرِ النافذةِ في الجدارِ ، لأنه المصباحَ فيها نورُهُ ، فيكونُ أزهرَ وأنورَ ، والمصباحُ في قنديلٍ مِن زجاجٍ صافٍ أزهرَ مِن شدةِ صفائِهِ كأنَّهُ دُرٌّ مِن فرطِ صفائِه ، وضيائِه .

- وجاءتِ القراءاتُ المخالفةُ لرسمِ المصحفِ (مثل نور المؤمن) ، (مثل نور من آمن به) ، (مثل من آمن به) .

– أمَّا القراءةُ الأُولى : (مثل نور المؤمن) ، أيْ : مثلُ نورِ اللهِ وهداهُ كالمشكاةِ ، يهدي بِهِ اللهُ مَن يشاءُ من المؤمنين ؛ ليخرجَهُم مِنَ الظلماتِ إلى النورِ ، فإذا جاءَ العلمُ واليقينُ ازدادوا هدًى على هدًى ، ونورًا على نورٍ ، فالمشكاةُ صدرُ المؤمنِ ،

١ – أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١٧٩، الدر المنثور ٦ / ١٩٧.

٢ – التفسير البسيط للواحدي ١٦ / ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩.

والمصباحُ والإيمانُ والعلمُ والزجاجةُ قلبُهُ ، وزيتُها هي مَجْمَعُ الحكمةِ ، فهي على سبيلِ الشرحِ والبيانِ ، ولكن لا يجوزُ القراءةُ بها ؛ لمخالفتِها رسمَ المصحفِ.

-أمَّا القراءةُ الثانيةُ (مثل نور من آمن به) ، أيْ : مثلُ نورِ المؤمنِ باللهِ على أحسنِ حالٍ منَ الهدايةِ والصلاحِ بإيمانِهِ واتباعِهِ القرآنَ ، والضميرُ عائدٌ على اللهِ ، وقيل : على المؤمنِ ، ولكن لا يجوزُ القراءةُ بها ؛ لمخالفتِها رسمَ المصحفِ .

-أمَّا القراءةُ الثالثةُ (مثل من آمن به) ، أيْ : مثلُ من آمنَ باللهِ في طاعتِهِ لله ، واتباعِهِ القرآنَ ، وقوةِ إيمانِهِ كأبلغِ صفاتِ النُّورِ الذى بين يدَيِ الناسِ ، فهو ساطعٌ واضحٌ جَلِيٌّ ، أيْ : مثلُ نورِهِ الذى يقذفُهُ في قلبِ المؤمنِ ويهديهِ بهِ ، والكنايةُ – أيضًا – هنا عائدةٌ على اللهِ وقيل : على المؤمنِ ، فهي على سبيلِ التفسيرِ ، ولكن لا يجوزُ القراءةُ بها ؛ لمخالفتِها رسمَ المصحفِ ، واللهُ – تعالَى – أعلمُ .

المسألة الخامسة – قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣]

الخبر الوارد في القراءة المخالفة لرسم المصحف (خَلله)

١- وأخرج ابْن جرير عَن ابْن عَبَّاس أَنه قَرَأَهَا (من خَلله) بِفَتْح الْخَاء من غير ألف[١].

أولا اللغة:

والخَلَل: الفُرْجة بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ. والخَلَّة: الثُّقْبة الصَّغِيرَةُ، وَقِيلَ: هِيَ الثُّقْبة مَا كَانَتْ[٢].

ثانيا التفسير:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً يسوقه ومنه البضاعة المزجاة فإنه يزجيها كل أحد. ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ بأن يكون قزعاً فيضم بعضه إلى بعض، وبهذا الاعتبار صح بينه إذ المعنى بين أجزائه، وقرأ نافع برواية ورش يُؤَلِّفُ غير مهموز. ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً متراكماً بعضه فوق بعض. فَتَرَى الْوَدْقَ المطر يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل، وقرئ من «خلله». وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ من الغمام وكل ما علاك فهو سماء. مِنْ جِبالٍ فِيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها أو جمودها. مِنْ بَرَدٍ بيان للجبال والمفعول محذوف أي يُنَزِّلُ مبتدأ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ برداً، ويجوز أن تكون من الثانية أو الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول، وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في

١ – أخرجه ابن جرير ١٧ / ٣٣٦، ٣٣٧، ويُنظر البحر المحيط ٦ / ٤٦٤، الدر المنثور ٦ / ٢١٢.

٢ – لسان العرب ١١ / ٢١٣.

الأرض جبال من حجر، وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور أن الأبخرة إذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحاباً، فإن لم يشتد البرد تقاطر مطراً، وإن اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجاً وإلا نزل برداً، وقد يبرد الهواء برداً مفرطاً فينقبض وينعقد سحاباً. ينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك لا بد أن يستند إلى إرادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على أنها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها وأوقاتها وإليها أشار بقوله: فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ والضمير لل بَرَد. يَكادُ سَنا بَرْقِهِ ضوء برقه، وقرئ بالمد بمعنى العلو وبإدغام الدال في السين «وبرقه» بضم الباء وفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع. يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ بأبصار الناظرين إليه من فرط الإضاءة وذلك أقوى دليل على كمال قدرته من حيث إنه توليد للضد من الضد، وقرئ «يَذْهَبُ» على زيادة الباء[1].

ثالثا : رأيُ الباحث:

بعدَ استعراضِ الخبرِ الواردِ في القراءةِ المخالفةِ لرسمِ المصحف ، وما جاءَ في اللُّغةِ والتفسيرِ ، نجدُ أنَّ اللهَ ــ عزَّ و جلَّ ــ بَيَّنَ لنا عجيبَ قدرتِهِ بأَنَّهُ يَسوقُ السحابَ ، ثم يُؤلِّفُ بينَ أجزائِهِ فتلتئمُ ، فيجعلُهُ رُكامًا ، أي : متكاثفًا بعضُهُ على بعضٍ ، فيَنزِلُ المطرُ من خلالِهِ ، أيْ : من فُتوقِهِ وثقوبِهِ ومخارجِهِ ، ويُنزِّلُ من السماءِ – أي : السحابُ المرتفعُ كالجبالِ – البَرَدَ، أيْ : المطرُ البارِدُ ، يكاد ضياءُ بَرْقِهِ يأخذُ الأبصارَ ، وهو – سبحانَه – يُغيِّرُ ولا يتغيَّرُ ، يُقلب الليلَ والنهارَ ، وفي هذا لعبرةٌ لأولي البصيرةِ .

- وجاءتِ القراءةُ المخالفةُ لرسمِ المصحفِ (من خلله) ، فالخِلالُ جمعٌ ، ومفردُها خَلَلٌ ، فإن (خلله) إذًا تكونُ بالتوحيدِ أو الإفرادِ ، مثلَ : جَمَل وجِمال ، فهي نفسُ معنى القراءةِ المتواترةِ ولكنها بالإفرادِ ، ولا يجوزُ القراءةُ بها ؛ لِمخالفتِها رسمَ المصحفِ ، ولكونِها تفسيرًا مِن صحابِيٍّ ، وخبرَ آحادٍ ، ويُعملُ بها في التفسيرِ ، واللهُ – تعالَى – أعلمُ

١ – تفسير البيضاوي ٤ / ١١٠.

المسألة السادسة – قال تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠]

الأخبار الواردة في القراءة المخالفة لرسم المصحف (من ثيابهن)، (جلابيبهن)

١- وَأخرج أَبُو عبيد فِي فضائله وَابْن الْمُنْذر وَابْن الْأَنْبَارِي فِي الْمَصَاحِف وَالْبَيْهَقِيّ فِي السّنَن عَن ابْن عَبَّاس أَنه كَانَ يقْرَأ (أَن يَضعن من ثيابهن) وَيَقُول: هِيَ الجلباب[١].

٢- وَأخرج ابْن الْمُنْذر عَن مَيْمُون بن مهْرَان قَالَ: فِي مصحف أبي بن كَعْب ومصحف ابْن مَسْعُود (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جنَاح أَن يَضعن جلابيبهن غير متبرجات)[٢].

٣- وَأخرج ابْن أبي حَاتِم عَن ابْن مَسْعُود عَن ابْن عَبَّاس أَنَّهُمَا كَانَا يقرآن (فَلَيْسَ عَلَيْهِم جنَاح أَن يَضعن جلابيبهن غير متبرجات)[٣].

أولا اللغة:

الجلباب: القميص والثوب المشتمل على الجسد كله[٤].

ثانيا التفسير:

و(القواعد) واحدتهن قاعد. وقال ربيعة هي هنا التي تستقذر من كبرها، قال غيره وقد تقعد المرأة عن الولد وفيها مستمتع فلما كان الغالب من النساء أن ذوات هذا السن لا مذهب للرجل فيهن أبيح لهن ما لم يبح لغيرهن.

وأزيل عنهن كلفة التحفظ المتعب إذ علة التحفظ مرتفعة منهن، وقرأ ابن مسعود «أن يضعن من ثيابهن» وهي قراءة أبي وروي عن ابن مسعود أيضا «من جلابيبهن»، والعرب تقول امرأة واضع للتي كبرت فوضعت خمارها، ثم استثني عليهن في وضع الثياب أن لا يقصدن به التبرج وإبداء الزينة، فرب عجوز يبدو منها الحرص على أن يظهر لها جمال ونحو هذا مما هو أقبح الأشياء وأبعده عن الحق، و «التبرج» طلب البدو والظهور إلخ... والظهور للعيون ومنه بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ [النساء: ٧٨] وأصل ذلك بروج السماء والأسوار، والذي أبيح وضعه لهذه الصنيفة الجلباب الذي فوق الخمار والرداء، قاله ابن مسعود وابن جبير وغيرهما، ثم ذكر تعالى أن تحفظ الجميع منهن واستعفافهن عن وضع الثياب والتزامهن ما يلزمه الشباب من الستر أفضل لهن وخير[٥].

---

١ – أخرجه أبو عبيد في فضائله ص ١٧٩، والبيهقي ٧ / ٩٢، الدر المنثور ٦ / ٢٢١.

٢ – يُنظر تفسير ابن عطية ٤ / ١٩٥، ويُنظر البسيط للواحدي ١٦ / ٣٦٦، الدر المنثور ٦ / ٢٢٢.

٣ – أخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٦٤١، الدر المنثور ٦ / ٢٢٢.

٤ – المعجم الوسيط ١ / ١٢٨.

٥ – تفسير ابن عطية ٤ / ١٩٥.

ثالثا : رأيُ الباحثِ:

بعدَ الاطلاعِ على الأخبارِ الواردةِ في القراءةِ المخالفةِ لرسمِ المصحفِ ، وما جاءَ في اللُّغةِ والتفسيرِ ، نجدُ أنَّ الحقَّ – سبحانه وتعالى – بَيَّنَ حُكم (القواعد) ، و هنَّ اللاتي قعدْنَ عن الحيضِ والولدِ للكبَرِ ، وقيل اللاتي لا يَطمَعْنَ في الزَّواجِ ، فليس عليهنَّ جناحٌ أن يَضعْنَ ثيابَهن أي : الجلبابَ ، والرداءَ ، والقناعَ الذى فوقَ الخمارِ ، بحيثُ لا تَظهرُ محاسنُها من وجهِها وجسدِها ؛ لأن اللهَ – عزَّ و جلَّ – سميعٌ للأقوالِ ،عليمٌ بما في القلوبِ .

- وجاءتِ القراءةُ الأُولَى المخالفةُ لرسمِ المصحفِ (من ثيابهن) ، ف (مِن) هنا للتبعيضِ ، أيْ : لا يَضَعْنَ جميعَ ثيابِهن ، بل جزءًا منها ، بأن يضعن الملحفَةَ والرِّداءَ ، ويُقِمْنَ في الدرعِ ، وفي خمورِهِنَّ ، ورُخِّصَ لها أن تمشيَ في درعٍ ، وخمارٍ ، وتصلىَ فيهما ، فهي بذلك قراءةٌ توضيحيَّةٌ ، ومبيِّنةٌ لثيابِهن التي على العمومِ في القراءةِ المتواترةِ ، فهي مفسرةٌ للقراءةِ المتواترةِ ، ولكن لا يجوزُ القراءةُ بها ؛ لمخالفتِها رسمَ المصحفِ .
- وجاءتِ القراءةُ الأخرى : (أن يضعن جلابيبهن) ، و استنادًا إلى ما جاء في اللغةِ والتفسيرِ أنَّ فالثيابُ هي الجلبابُ ، فهي نفسُ المعنى ، وعلى هذا (جلابيبهن) بمعنى ثيابِهن ، وربما تكون لهجةً أو لغةً ، فهي قراءةٌ مبينةٌ وموضحةٌ و تفسيريةٌ بنفسِ معنى القراءةِ المتواترةِ ، ولكن لا يجوزُ القراءةُ بها ؛ لمخالفتِها رسمَ المصحفِ ، واللهُ – تعالَى – أعلمُ .

الخاتمة والنتائج:

١- إن هذا الاختلاف في بعض القراءات ليس اختلاف تعارض وتناقض، إنما هو اختلاف تنوع وتعاضد، يصدق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضًا، ويشهد بعضه لبعض.

٢- إن هذا الاختلاف يعد نوعًا من أنواع الإعجاز القرآني، فالكلمة الواحدة حين تتعدد قراءاتها تتعدد المعاني وتتسع، فيقوم ذلك مقام آيات أخري، فهذا إعجاز في إيجاز، فسبحان منزل الكتاب.

٣- ونجد أن القراءات المخالفة لرسم المصحف منهاج في حياة الأفراد والسلوك والمظهر في البيت لطائفة من المجتمع، وهم القواعد من النساء، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠]، فقد بينت القراءة المخالفة (جلابيبهن) ما يجب أن يُخلع من الثياب، وهي الجلباب فقط، وليس كل الثياب، محافظةً على المظهر العام، ومراعاةً للحياء

المصادر والمراجع:

١-ابن جني [ابي الفتح عثمان بن جني]
المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها – تحقيق علي النجدي، الدكتور/ عبدالحليم النجار، والدكتور/ عبدالفتاح اسماعيل- القاهرة ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م- طبعة المجلس- الأعلي للشئون الإسلامية.

١-ابن أبي حاتم [أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفي: ٣٢٧هـ)]
تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم المؤلف: المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفي الباز – المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ

٢-ابن عطية الأندلسي المحاربي [أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفي: ٥٤٢هـ)]
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد السلام عبد الشافي محمد: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولي – ١٤٢٢ هـ

٣-جبل [د. محمد حسن حسن جبل]
المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها): الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة الطبعة: الأولي، ٢٠١٠ م.

٤-السيوطي [عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي: ٩١١هـ)]
الدر المنثور في التفسير بالمأثور تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث العربية والإسلامية الدكتور عبد السند حسن يمامه الطبعة الأولي القاهرة ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٣م.

٥-الواحدي، النيسابوري [أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفي: ٤٦٨هـ)]
الكتاب: التَّفْسِيرُ البَسِيْط ، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه ، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ، الطبعة: الأولي، ١٤٣٠ هـ ، الشاملة الذهبية.

٦-النسفي[أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفي : ٧١٠هـ)]
تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) . حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولي، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

٧-أبو حيان الأندلسي[محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ت :٧٤٥ هـ]
البحر المحيط في التفسير اصدار تحقيق صدقي محمد جميل ، دار الفكر بيروت ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ مـ

٨-المصري الحنفوي [شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفي: ١٠٦٩هـ)]
الكتاب: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَي تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَي تفْسيرِ البَيضَاوي ، دار النشر: دار صادر – بيروت ، الشاملة الذهبية ، (د.ت).

٩-الهروي [الشيخ العلامة ابي القاسم بن سلام الهروي ١٥٧-٢٢٤هـ]
فضائل القران، تحقيق مروان العطية ، محسن خرابة ، وفاء تقي الدين دار ابن كثير دمشق بيروت (د.ت)